تفسير كلّ آية بجملة

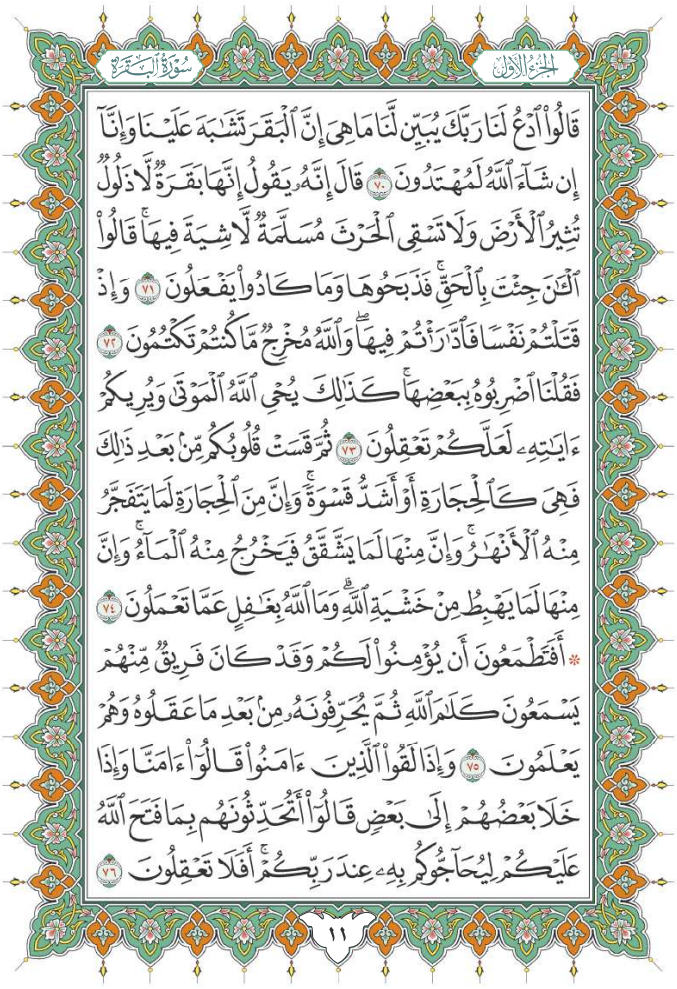

﴿٧٠﴾ - ثمّ لجّوا في أسئلتهم فقالوا: أُدع لنا ربّك يبيّن لنا شأن هذه البقرة، لأنّ البقر تشابه علينا، وسنهتدي إليها بمشيئة الله.

﴿٧١﴾ - فقال لهم: إنّ الله يقول إنّها بقرة لم تذلل للعمل في حرث الأرض وقلبها للزّراعة، ولا في سقي الأرض المهيّأة للزّراعة أو سقي ما فيها من نبات، وهي بريئة من العيوب، سالمة من الآفّات، لا لون فيها يخالف لون جلدها، فقالوا: الآن جئت بالبيان الواضح، وبحثوا عن البقرة المتّصفة بهذه الأوصاف فذبحوها، وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لكثرة أسئلتهم وطول لجاجهم.

﴿٧٢﴾ - واذكروا يوم قتلتم نفسًا وتخاصمتم وتدافعتم الجريمة، فاتّهم بعضكم بعضًا بالقتل، والله يعلم الحقيقة وهو كاشفها ومظهرها مع كتمانكم لها.

﴿٧٣﴾ - فقلنا لكم على لسان موسى: اضربوا القتيل بجزءٍ من هذه البقرة، ففعلتم: فأحيا الله القتيل وذكر اسم قاتله، ثمّ سقط ميتًا، فكانت معجزة من الله لموسى عليه السّلام لأنّ الله قادر على كلّ شيء، وهو يحيي الموتى ويريكم دلائل قدرته يوم القيامة، لعلّكم تعقلونها وتعتبرون.

﴿٧٤﴾ - ثمّ إنّكم بعد هذه الآيات كلّها لم تستجيبوا ولم تستقيموا، ولم تلن قلوبكم أو تخشع، بل غلظت وتصلّبت وبقيت على قسوتها كالحجارة، أو أصبحت أشدّ منها قسوة، لأنّ الحجارة قد تتأثّر بما حولها، فهناك أحجار تتفجّر منها المياه فتجرى أنهارًا، وهناك أحجار تتشقّق فيخرج منها الماء عيونًا فوّارة، ومنها ما يتردّى من أعلى الجبال انقيادًا لأمر الله، أمّا قلوبكم أيّها اليهود فإنّها لا تتأثّر ولا تلين، ولكم الويل على ذلك، فالله ليس بغافلٍ عن أعمالكم، وهو سيؤدّبكم بألوان النّقم إذا لم تشكروا أنواع النّعم.

﴿٧٥﴾ - ما كان ينبغي لكم أيّها المؤمنون أن تطمعوا في أن يُؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم، وقد اجتمعت في مختلف فرقهم أشتات الرّذائل التي تباعد بينهم وبين الإيمان بالحقّ، فقد كان فريقٌ منهم - وهم الأحبار - يسمعون كلام الله في التّوراة ويفهمونه حقّ الفهم، ثمّ يتعمّدون تحريفه وهم يعلمون أنّه الحقّ، وأنّ كتب الله المنزّلة لا يجوز تغييرها.

﴿٧٦﴾ - وكان فريق من منافقيهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا مخادعين لهم: آمنّا بأنّكم على الحقّ، وأنّ محمّدًا هو النّبيّ الذي جاء وصفه في التّوراة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم، إذ قد تنزلق ألسنتهم في أثناء خداعهم للمؤمنين بعبارات تفيد خصومهم ولا يستدعيها الخداع، فيذكرون لهم ما ورد في التّوراة من أوصاف سيّدنا محمّد ﷺ، ويعطونهم بذلك حُجّة عليهم يوم القيامة.

الآيات من 67 - 73

قصّة ذبح البقرة

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

ترتبط هذه الآيات بما جاء قبلها من ذكر بعض جرائم اليهود، مثل نقض الميثاق، والاعتداء في السّبت، والتّمرد في تطبيق التّوراة، فالآيات ما هي إلّا استمرار في تعداد مساوئهم، ومنها مخالفتهم الأنبياء ومعاندتهم الرّسل عليهم السلام، وتلكّؤهم في امتثال أوامر الله تعالى.

سبب النزول: سبب هذه الحادثة العظيمة التي سميت أطول سورة بإسمها ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن صغير، وكان لديه عِجلة أتى بها إلى غيضة وقال: "اللّهُمّ إنّي أستودعك هذه العجلة لابني حتّى تكبر". ثمّ مات الرجل، فأصبحت العجلة في الغيضة، وكان يصعب على أيّ شخص الإمساك بها، إذ كانت تهرب من كلّ من يراها. وعندما كبر الابن وكان بارًّا بوالدته، كان يقسّم الليل ثلاثة أثلاث: يصلّي ثلثًا، وينام ثلثًا، ويجلس عند رأس أمّه ثلثًا. وعندما يصبح، يذهب ليحتطب ويحمل الحطب على ظهره، فيأخذه إلى السوق لبيعه بما شاء الله، فيتصدّق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي أمّه ثلثه.

وفي يوم من الأيّام قالت له أمّه: "إنّ أباك ورّثك عِجلة استودعها الله في غيضة كذا، اذهب وادع الله أن يردّها عليك، وعلامتها أنّك إذا نظرت إليها سيخيّل إليك شعاع الشمس يخرج من جلدها، لأنّها كانت تسمّى المذهّبة لحسنها وصفرتها. فذهب الفتى إلى الغيضة، فوجد العِجلة ترعى. فصاح بها وقال: "أعزم بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن تأتي إليّ". فإذا بالعِجلة تأتي إليه، فقبض على عنقها. ثمّ تكلمت البقرة بإذن الله، وقالت: "أيّها الفتى البارّ بأمّك، اركبني، فهذا أهون عليك". فقال الفتى: "إنّ أمّي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها". فقالت البقرة: "بإله بني إسرائيل، لو ركبتني لما كنت تقدر عليّ أبدًا. فانطلق، فإنّك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرّك بأمك".

فأخذ الفتى البقرة وسار بها إلى أمّه. فقالت له: "أنت فقير ولا مال لك، فيشق عليك الاحتطاب بالنّهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة". قال: "بكم أبيعها؟" قالت: "بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتي". وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير. فانطلق الفتى بها إلى السوق، فبعث الله ملكًا ليُري خلقه قدرته وليختبر الفتى. فقال الملك له: "بكم تبيع هذه البقرة؟" قال الفتى: "بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا والدتي". فقال الملك: "لك ستة دنانير، ولا

تستأمر والدتك". فقال الفتى: "لو أعطيتني وزنها ذهبًا لم آخذه إلا برضا أمي". فرجع الفتى إلى أمّه وأخبرها بالثمن. فقالت: "ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منّي". فانطلق بها إلى السوق، وأتى الملَك، فقال: "استأمرت أمّك؟" قال الفتى: "نعم، وهي أمرتني أن لا أنقصها عن ستة على أن أستأمرها". فقال الملَك: "فإنّي أعطيك اثني عشر دينارًا على أن لا تستأمرها". فأبى الفتى أن يبيعها إلا برضا أمّه. فذهب إلى أمّه وأخبرها، فقالت: "إنّ الذي يأتيك ملَك في صورة آدميّ ليختبرك. فإذا أتاك، فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟"

ففعل الفتى، فقال له الملَك: "اذهب إلى أمّك وقل لها: أمسكي هذه البقرة، فإنّ موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يُقتل في بني إسرائيل. فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير". فأمسكت البقرة، وقدّر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها، فما زالوا يسوّفون حتّى وصف لهم موسى تلك البقرة. وهذا كان مكافأة من الله تعالى للفتى على برّه بأمّه ورحمة منه.

المعنى العام

يذكّر الله تعالى بني إسرائيل بنعمته عليهم في خرق العادة لهم في شأن البقرة، وبيان هويّة القاتل بسببها، وإحياء المقتول واعترافه بهويّة القاتل منهم. فيقول ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ عندما تخاصموا إليه في قتيل وجد في قرية ولم يعرف قاتله. إذ كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثمّ احتمله ليلًا فوضعه على باب رجل منهم، ثمّ أصبح يدّعيه عليهم، حتّى تسلّحوا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوو الرّأي منهم والنّهي: علام يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له[1].

فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ وأبهم الأمر عليهم ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أي: مهزوا بنا، حيث نسألك عن بيان القاتل وأنت تأمرنا أن نذبح بقرة، وهذا من تعنّتهم وسوء أدبهم. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إذ لا يستهزئ بأمر الدّين إلّا الجاهل. فلما رأوا جدّه ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ هل هي كبيرة، صغيرة أو متوسّطة؟ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ لا كبيرة أي هرمة ولا صغيرة، لم يلقحها العجل، ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ متوسّطة بين الصّغر والكبر، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أي افعلوا ما أمركم به ربكم ولا تتنصلوا ولا تشددوا فيشدّد الله عليكم. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ أهي حمراء أم سوداء أم صفراء؟ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ ناصعة صفرتها ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لسمنها وبهجة لونها. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قالوا: إنّ البقر الصّفر كثير، وقد تشابه علينا أمرها! ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ إنّها بقرة ليست مذللة للعمل بقلب الأرض وحراثتها، ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ليست معدّة للسّقي في السّانية. ﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ مسلّمة من العيوب كلّها، لا علامة فيها أو أي شيء يخالف الصّفرة.

فلمّا تبيّن لهم الأمر ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ الواضح وكأن ما قاله لهم موسى عليه السلام وحيًا من ربّه قبل ذلك ليس حقاً، فوجدوها عند شاب كان بيد أمّه، قد استودعها له أبوه في غيضة، فاشتروها منه بملء جلدها ذهبًا ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ وضربوا القتيل بجزء منها، فجلس وعروقه تسيل دمًا، وقال: قتلني ابن عمّ لي، ثمّ رجع ميتًا، فلم يُعْطَ من ماله شيئًا ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لكثرة تردّدهم، أو لفحش غلوّها. فأخبر تعالى عن تعنّت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم، فلو ذبحوا أدنى بقرة لكفتهم، لكن شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم.

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، باب: قوله: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، (١٣٦/١).

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾. وأصبح كلّ فريق يدفع التهمة عن نفسه وينسبها لغيره.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ حرصًا على الدّنيا ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ اختلفتم وتدافعتم في شأنها، ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ والله مبيّن ما كنتم تُخفون من القتل ومن قتله، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي اِضربوا القتيل بشيء من البقرة يحيا ويخبركم عن قاتله ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾ أي الله تعالى قادر على أن يحيي الموتى من قبورها كما أحيا هذا القتيل، ﴿ويريكم﴾ آياته الدّالة على قدرته، ﴿لعلكم تعقلون﴾، فتعلمون أنّ من قدر على إحياء نفس واحدة، يقدر على إحياء الأنفس كلّها.

ذكر تعالى في هذه السّورة، ممّا خلقه من إحياء الموتى، في خمسة مواضع هي: بعد عبادتهم العجل ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[1] وفي قصّة البقرة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ قصّة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[2]، وقصّة الذي ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[3] وقصّة إبراهيم عليه السلام والطّيور الأربعة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4] ونبّه تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميمًا، فعن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أنّه قال: يا رسول الله أكُلُّنا يَرَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ مُخْلِيًا؟» فَقَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَاللهُ أَعْظَمُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مُحْلًا؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ»[5]، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ* لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾[6].

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي رزين العقيليّ، كتاب وباب: الأهوال، الحديث صحيح الإسناد، حديث رقم: ٨٦٨٢.
(٦) سورة يس، الآيات: ٣٣-٣٥.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. **قاعدة:** من ضيّق الأمور على نفسه كما حصل في قصّة اختيار البقرة، ضيّق الله عليه، فالتشدّد يجلب التشديد من الله، والتيسير يجلب التيسير من الله سبحانه.

٢. **التأدّب** واجب مع الأنبياء وخلفائهم من الأولياء والعلماء، وحسن الظنّ بهم، وعدم مخاطبتهم كما تخاطب الأقران، فاليهود تُسيء الأدب مع الأنبياء. وقد بيّن الله تعالى لنا سوء أخلاقهم كي نتجنّب أن نكون كذلك. إساءة الأدب مع الأنبياء والأولياء وإيذاؤهم، ينتج عنه حرب من الله تعالى. وحرب الله تعالى لعبده، أن يمحق الإيمان من قلبه شيئًا فشيئًا. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله تعالى قال: مَن عادَى لِي وليًّا، فقَد آذنتهُ بِالحَرب»**[1].

٣. **حرمة الاعتراض على النّبيّ** ووجوب التسليم لأمره أو نهيه، ولو لم تعرف فائدة الأمر والنّهي وعلّتها.

٤. **معنى "السّلام عليك أيّها النّبيّ"** في التّحيّات: لمّا كان النّبيّ ﷺ والأنبياء عليهم السلام عمومًا يأمرون بما يخالف الأهواء، أُمرنا أن نسلّم الأمر إليهم، ولا نعترض عليهم فيما أمرونا به أو نهونا عنه، ونذكّر أنفسنا بذلك في كلّ صلاة.

٥. **النّدب إلى التيسير**، وكراهة التّشدّد في الأمور.

٦. **بيان أهميّة قولنا إن شاء الله** عندما نعزم على فعل أيّ شيء، وعدم الملل من تكرارها، إذ لو أنّهم لم يقولوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ما كانوا ليهتدوا إلى معرفة البقرة المطلوبة.

٧. **تحاشي العبارات** التي قد يفهم منها انتقاص الأنبياء، مثل قولهم ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾، إذ يفهم منه أنّه ما جاءهم بالحقّ إلا هذه المرّة.

من أسماء الله الحسنى: المُحيي - المميت

شرح اسم الله المُحيي، واسم الله المميت:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[2] المُحيي خالق الحياة، والمميت خالق الممات.

التّعلق باسم الله المُحيي، وباسم الله المميت:

أي الالتجاء إليه في إحياء قلبك وروحك بمعرفته، وفي إماتة نفسك وهواك وجميع شهواتك.

من معجزات سيّدنا موسى عليه السلام: إحياء المقتول

وهي معجزة عظيمة تتجلّى فيها قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء الموتى، وإظهارًا لنبوّة سيّدنا موسى بأن دلّ على القاتل عن طريق المقتول فأحياه الله ليخبر عن قاتله، فتكون حياته دليلًا على البعث بعد الموت. وفيما يلي قصّة هذه المعجزة كما وردت في بعض كتب التفسير: كان في بني إسرائيل شيخ موسر، قتله قريبٌ له طمعًا في ميراثه، ثمّ جاء قومٌ

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، حديث رقم: ٦٥٠٢.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٨.

يطالبون بدمه، فأنكر المتهمون قتله، وترافع القوم إلى موسى عليه السلام، كلٌّ منهم يدرأ التّهمة عن نفسه. فقال لهم: إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، وذلك ليتبيّن لهم القاتل الحقيقيّ- فقالوا له: أتهزأ بنا؟ فقال موسى: معاذ الله أن أكون من الجاهلين - لأنّ الاستهزاء في هذا المقام ضرب من الجهل، عند ذلك سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام عن أوصاف البقرة التي أُمروا بذبحها؛ وشدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، إذ سألوه عن عمرها، ولونها، ثمّ عن تحديد ذاتها بصفات تميّزها عن غيرها. فلمّا بيّنها الله لهم، قالوا لموسى: الآن جئت بالحقّ - إذ عثروا على صفات هذه البقرة المجهولة لهم في بقرة خاصة ليتيم فقير، كان أبوه رجلًا صالحًا لم يخلف له غير هذه البقرة، فاشتروها بثمن كبير كان من حظّ هذا اليتيم الفقير - وذبحوها وما كادوا يفعلون، لكثرة شكوكهم وتردّداتهم.

فأقبل موسى عليه السلام وأخذ لسان هذه البقرة أو عَجْب ذَنَبِها، وضرب به القتيل فأحياه الله بقدرته، وأخبر عن قاتله، وكان ابن أخيه ووارثه الوحيد، قتله ليستعجل الميراث ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

هذه المعجزة كانت عظة لبني إسرائيل ولغيرهم، إذ أظهرت قدرة الله المطلقة على إحياء الموتى وتبيان الحق، وأكّدت أيضًا على حقيقة البعث بعد الموت.

وفي قصّة هذه المعجزة نزل قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ... كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

تذكّر بأن الله سبحانه يعلم الفرق بين التّقوى الكاذبة والتّقوى الصّادقة. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾، وما أكثر من يدّعي التّقوى، ويظهر بمظهر الحرص على الدّين، وهو ينفّذ مصلحته الخاصّة. فاحذر كلّ الحذر منهم، ودقّق في نيّتك مخافة أن تكون منهم، واتّهم نفسك دائمًا وشدّد الرّقابة عليها لئلّا تُخفي عليك بعض النّوايا والشّهوات الخفيّة.

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسمين من أسماء الله الحسنى: المحيي - المميت:

بإحياء عوالمك بالطّاعات، وإماتتها من الحظوظ والشّهوات.

من الأخلاق المحمديّة الرّفق واللين:

انظر وقارن بين التّشديد في قصة اختيار البقرة، واللين الذي جاء به سيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم، حين جاءه رجل كان قد جامع أهله في يوم رمضان، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّة خيارات للتّكفير عن ذنبه.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ:

(١) سورة البقرة، الآيات:٦٧-٧٣.

لا، قَالَ: ﴿فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟﴾ قَالَ: لا، فَقَالَ: ﴿فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟﴾ قَالَ: لا، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: ﴿أَيْنَ السَّائِلُ؟﴾ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: ﴿خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ﴾ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَوَاللهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ﴾[1].

فاللين صورة من صور الرّحمة يضعها الله في قلب العبد، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

ذكر أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ ﴿كان أرحم النّاسِ بِالصِّبيانِ والْعيالِ﴾[3].

والرفيق الرّحيم أحقّ النّاس برحمة الله تعالى كما في الحديث: ﴿الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللهُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ﴾[4].

كما نفى رسول الله ﷺ كمال الإيمان عمّن لا يرحم، فقال: ﴿لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا﴾[5].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا﴾[6].

١. **يسّروا** يعني: اسلكوا ما فيه اليسر والسّهولة؛ سواء كان فيما يتعلّق بأعمالكم، أو معاملاتكم مع غيركم؛ ولهذا كان من هَدْيِ النّبيّ ﷺ ﴿مَا خُيِّرَ النَّبِيّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ﴾[7].

فعليك أيّها العبد اختيار الأيسر لك في كلّ أحوالك، حتّى في العبادات والمعاملات مع النّاس، لأنّ العمل بما هو أيسر هو المطلوب من الله تعالى وقد بيّن تعالى في هذه الآية: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[8] يُسر الشّريعة الإسلاميّة وخلوّها من العُسر، فمثلًا: إذا كنت تريد الوضوء في فصل الشّتاء، ولديك من الماء السّاخن والبارد، فالأفضل أن تستعمل السّاخن؛ لأنّه الأيسرُ والأسهل. وإذا خيّرت بين الذّهاب إلى الحجّ بالسّيّارة أو بالطّائرة، فالذّهاب إلى الحجّ بالطّائرة أيسر وأفضل.

أمّا إذا كان فعل العبادة لا يتأتّى إلّا بمشقّة لا تسقط عنك إلّا بعذر شرعيّ كالصّيام مثلًا، فالأجر مضاعف، واعلم أنّ إسباغ الوضوء على المكاره مثلاً عند عدم توفّر الماء الساخن في الشتاء هو ممّا يَرفع الله به الدّرجات، ويُكفّر به الخطايا، قال رسول الله ﷺ: ﴿أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟﴾ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ﴿إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ..﴾[9].

أمّا أخذ الإنسان بما هو أصعب مع إمكان اختياره الأسهل، فهذا خلاف الأفضل، والله أعلم.

قال رسول الله ﷺ: ﴿لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ﴾[10].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصوم، باب: إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، حديث رقم: ١٩٣٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٣) رواه السيوطيّ في الجامع الصغير، عن أنس، كتاب: حرف الكاف، باب: "كان" وهي الشّمائل الشّريفة، حديث رقم:٦٨٢٠.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك، عن عبد الله بن عمرو، كتاب: البر والصّلة، باب: وأما حديث عبد الله بن عمرو، حديث رقم: ٧٤٨٠. الحديث صحيح.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك، عن عبد الله بن عمر، كتاب: الإيمان، باب: وأما حديث سمرة بن جندب، حديث رقم: ٢٠٩، الحديث صحيح.
(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس بن مالك، كتاب: العلم، باب: ما كان النّبيّ ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، حديث رقم: ٦٩.
(٧) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عائشة، كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، حديث رقم: ٦٧٨٦.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٩) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره، حديث رقم: ٢٥١.
(١٠) رواه البخاريّ في صحيحه، عن سهل بن سعد، كتاب: الصوم، باب: تعجيل الإفطار، حديث رقم: ١٩٥٧.

وروي أنّ النّبيّ ﷺ أخّر السّحور، وكان بينه وبين الصّلاة قدر خمسين آية، لماذا؟ لأن تأخير السّحور يعين على الصّوم. والمبادرة بالفطر أسهل وأيسر على النّفس، لا سيّما مع طول النّهار وشِدّة الظّمأ، فهذا وغيره من الشّواهد، يدلّ على أنّ الأيسر أفضل؛ فأنت يسِّر على نفسك في مزاولة الأعمال، وافعَل ما هو أسهل في كلّ شيء ما دام مباحاً، لأنّ القاعدة في اتّباع الأسهل والأيسر هو الأرْفق بالنّفس، والأفضل عند الله تعالى.

٢. **ولا تُعسروا:** أي لا تسلكوا طريق العسر في عباداتكم، ولا في معاملاتكم، ولا في غير ذلك فإنّ هذا منهيٌّ عنه، فلا تعسِّر.

٣. **وبشِّروا؛** يعني: اجعلوا طريقكم دائمًا مفروشًا بالبشارة، بشِّروا أنفسكم، وبشِّروا غيركم؛ فإذا عمِلت عملًا صالحًا، فاستبشر وبشِّر نفسك بأنّه سيُقبَل منك إذا اتّقيت الله فيه؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]، وإذا دعوت الله، فبشِّر نفسك أنّ الله سيَستجيب لك؛ لأن الله ﷻ يقول في الحديث القدسيّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[٢]؛ ولهذا قال بعض السّلف: مَن وُفِّق للدّعاء، فليُبشّر بالإجابة؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣] فعليك أن تبشِّر العباد بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه وسعة رحمته.

ويؤيّد ذلك ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه: "**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ الْفَالَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ**"[٤]، لأنّ الإنسان إذا تفاءَل نشِط واستبشر، وإذا تشاءَم تحسَّر وضاقت عليه نفسه فلا يُقدِم على العمل. فبشِّر نفسك وبشِّر من جاءك خائفًا من أن لا تُقبل توبته، وأدخِل عليه السّرور. وإذا عُدتَ مريضًا، فقل له: أبشر بالخير، ودوام الحال من المحال، وعلى الإنسان أن يَصبر ويَحتسب، ويُؤجَر على ذلك، وما أشبه ذلك، وبشِّره قائلًا: تبدو على وجهك علامات الشّفاء...؛ لأنّك بهذا تُلقي السّرور، وتُبشّره بالخير.

٤. **ولا تنفِّروا** أي لا تُخوِّفوهم بأنواع الوعيد بأن تجعلوهم قانطين آيسين من رحمة الله بأنّهم فعَلوا ذنوبًا، كذلك لا تنفّروهم من فعل الطّاعات، مثال أن يُطيل الإمام بصلاة الجماعة كما فعل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

"كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ العِشَاءَ أَوِ العَتَمَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُصَلِّيهَا لِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، قَالَ فَأَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ العِشَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى مُعَاذٌ مَعَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَأَمَّ قَوْمَهُ فَقَرَأَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ، فَتَنَحَّى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ فَصَلَّى وَحْدَهُ، فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ؟ فَقَالَ: لا، وَلَكِنِّي آتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ أَخَّرْتَ العِشَاءَ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ ثُمَّ رَجَعَ فَأَمَّنَا فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَأَخَّرْتُ وَصَلَّيْتُ، وَإِنَّمَا نَحْنُ أَصْحَابُ نَوَاضِحَ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: «أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ بِسُورَةِ كَذَا، وَسُورَةِ كَذَا»[٥].

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: "قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلاةِ فِي الفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلانٌ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»[٦].

فالتّنفير لا ينبغي، فلا تَدعُ إلى الله دعوة مُنفِّر، ولا تقل لفلان: أنت خالفتَ، أنت عصيتَ، وأنت فيك كذا وكذا، فهذا يُنفّر العبد ويزيده تماديًا في المعصية، ولكن ادْعُ النّاس بلينٍ ويُسر؛ حتى يألفَك السّامع ويعرف ما تدعو إليه،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن واثلة بن الأسقع، كتاب وباب: التوبة والإنابة، حديث رقم: ٧٦٠٣، الحديث صحيح.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٣٩٣، الحديث صحيح وإسناده حسن.

(٥) رواه البيهقيّ في السُّنن الكبرى، عن جابر بن عبد الله، كتاب: الصّلاة، باب: الفريضة خلف من يصلي النافلة، حديث رقم: ٥١٦٥.

(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن مسعود، كتاب: الأذان، باب: من شكا إمامه إذا طوّل، حديث رقم: ٧٠٤.

وبذلك تمتثل أمر النّبيّ ﷺ في قوله: «يسّروا ولا تُعسّروا، وبشّروا ولا تُنفّروا»[1]، وليكن هذا الحديث رأسَ مالك. سِرْ إلى الله تعالى على هذا الأصل.

التّوجيهات:

اذكر فضل الله ورحمته عليك بهذا الدّين العظيم وبهذا النّبيّ الكريم ﷺ، واشكره على ذلك؛ فلولاه لكنت من الخاسرين في الدّنيا والآخرة، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

في السّيرة والشّمائل

انظر كيف علّم الله تعالى المؤمنين الأدب مع نبيّهم وحذّرهم أشدّ الحذر من إساءة الأدب معه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3] فقد أمرهم أن يبجّلوه ولا يرفعوا أصواتهم عنده، وأن لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضًا بقلّة احترام، لئلّا تحبط حسناتهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيّ ﷺ، سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ أَشْتَكَى؟» فَقَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ شَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[4].

وفي رواية، أنّه لمّا نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطّريق يبكي، فمرّ به عاصم بن عديّ فقال: "ما يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ؟ قَالَ: أَنَا رُفَيْعُ الصَّوْتِ وأَتَخَوَّفُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِيَّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟» فَقَالَ: رَضِيتُ بِبُشْرَى اللهِ وَرَسُولِهِ، لا أَرْفَعُ صَوْتِي أَبَدًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَزَلَتْ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾[5] الآيَةَ"[6].

في السّلوك

الإشارة كما ورد عند الإمام القشيريّ: إذا أمر الشّيخ المريدين بذبح نفوسهم أي بخرق عوائدها، فمن تردّد منهم في فعل ما تموت به نفسه، كان ذلك دليلًا على قلّة صدقِه وضعف نهايته، ومن بادر منهم إلى قتلها (بترك الانقياد لها) دلّ ذلك على صدقه وفلاحه ونجاح نهايته. فإذا ماتت النّفس بالكلّيّة، حُيِّيَت روحه بالمعرفة والمشاهدة الدّائمة، فلا موت بعدها أبدًا.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس بن مالك، كتاب: العلم، باب: ما كان النّبيّ ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم، حديث رقم: ٦٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٤.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٢.
(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أنس بن مالك، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أنس بن مالك، حديث رقم: ١٢٤٨٠، الحديث صحيح الإسناد.
(٥) سورة الحجرات، الآية: ٣.
(٦) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن أبي ثابت بن قيس عن أبيه، كتاب: الثاء، باب: من اسمه ثابت، حديث رقم: ١٣١٦.

الإشارة: السّلوك إلى الله ضروريّ جدًّا قبل الأربعين. قال تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي ليست بِفَتِيَّةٍ ولا مُسِنَّة بل هي بين السِّنَّيْن. فحصلت الإشارة أنّ الذي يصلح لهذه الطريقة مَنْ لا يستهويه بَرَقُ الشّباب وسُكْره، ولم يُعَطِّلْه عجزُ المشيب وضعفُه، بل هو صاحٍ استفاق عن سُكْرِه، وبقيت له بَعْدُ نضارةٌ من عمره، وقد أشار تعالى بالبقرة إلى النّفس.

الإشارة: قوله جلّ ذكره: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾؛ فالإشارة منها، أنّ من كان من أهل الصلاح يستغرق شاهدُه القُلوبَ لِمَا أُلبس من رداء الجبروت، وأقيم به من شاهد الغيب حتّى إنّ من لاحَظَه تناسى أحوال البشريّة واستولى عليه ذكر الحقّ، كما جاء في الحديث، «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى»[1].

أي أنّه هناك أشخاص من الصالحين الّذين يُرشدون الناس إلى الله بفضل ما تميّزوا به من صفاتٍ روحية ومرتبةٍ عالية في العلم والإيمان. هؤلاء الأشخاص، بفضل النور الذي أكرمهم الله به يصبح لهم تأثيرٌ خاصّ على من يراهم، فإنّ رؤيتهم سبب لتذكّر الله تعالى، وكأنّ هؤلاء الأشخاص مُلبَّسون "رداء الجبروت"؛ أي أنّ لهم هيبةً ورهبةً من أثر عناية الله بهم، فيتأثر بهم الناس بشكلٍ عميق ويذكرون الله لرؤية ما يبدو عليهم من صفات روحيّة؟ وهذا يتماشى مع الحديث الذي جاء فيه النّبيّ ﷺ شارحًا إنّ أفضل الناس هم أولئك الذين يُذكِّرونك بالله.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]

أراد الله سبحانه أن يحيي ميّتهم، ليفضح قاتله بالشّهادة عليه. فأمرهم بقتل بقرة لهم، وجعل سبب حياة مقتولهم قتلهم لبقرة، فصارت **الإشارة منه: أن "إماتة النفس"** هو سبيل الوصول إلى إحياء القلب، فمن يرغب في إحياء قلبه بالأنوار الروحيّة والمعارف الإلهيّة عليه أن يتخلّى عن شهوات نفسه وملذاتها الدنيويّة من خلال مجاهدتها والتخلّي عن الأنانيّة والأهواء التي قد تحجب الإنسان عن الله. فكلّما جاهد الإنسان نفسه وابتعد عن الدنيا وأهوائها، زادت تجلّيات الأنوار والمعارف الإلهيّة في قلبه، فيرى الحقائق بوضوح أكبر.

ومن أراد أن يكون ذكره حيًّا بين "الأبدال" (وهم الصّالحون)، عليه أن يختار التواضع والخفاء في الدّنيا، فلا يسعى قلبه وراء الشهرة ولا أن يُعرف بين النّاس بصلاحه، بل يختار خمول ذكره بذلك بينهم. بهذا، يُكرم الله ذِكره بين الصّالحين.

في الإعجاز العلميّ

ورد في القرآن الكريم أنّ اللون الأصفر يحمل دلالات جميلة مرتبطة بالسرور، كما ورد في الآية الكريمة التي تتحدّث عن البقرة الصفراء في قصّة بني إسرائيل: قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[3]، **اللّون الأصفر** يوصف في هذه الآية بكونه فاقعًا، أي شديد الصفرة بحيث يكاد يشعّ. وهذه البقرة الصفراء كان لها تأثير خاصّ في بني إسرائيل، إذ كان لونها يسرّ الناظرين. فالأصفر يعكس الإشراق والضياء لأنّه لون الشمس مصدر الضوء والحرارة والحياة والنشاط.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، عن أسماء بنت يزيد، مسند: القبائل، مسند: من حديث أسماء بنت يزيد، حديث رقم: ٢٧٥٩٩، الحديث حسن بشواهده.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٩.

النظرة النفسيّة للون الأصفر:

- **تأثيره النفسي:** ذكر العلماء المختصون في الألوان، أنّ اللّون الأصفر هو أحد الألوان المبهجة والمضيئة التي تثير مشاعر السعادة والتفاؤل. حسب ما ذكرته خبيرة الألوان ليتريس آيزمان في كتابها "اللون: الرسائل والمعاني"، فإنّ اللون الأصفر يرتبط بالتفاؤل والأمل ويحثّ على حالة مزاجيّة مرحة، كما أنه يعتبر أقوى الألوان من الناحية النفسية.
- **رمزيّة للبهجة والإبداع:** وفقًا لأنجيلا رايت في كتابها "دليل المبتدئين لعلم نفس اللون"، فإنّ اللون الأصفر يرتبط بالروح المرحة والإبداع، وهو يعزّز احترام الذات ويسهم في تحفيز العواطف الإيجابية.

آراء إسلاميّة حول اللون الأصفر:

روى ابن جرير عن ابن عبّاس ﷺ قوله: «من لبس نعلاً صفراءَ، لم يزل في سرور ما دام لابسها».

- وقال القرطبيّ: «قال ابن عبّاس: الصفرة تسرّ النفس».

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «من لبس نعلي جلد أصفر، قلَّ همُّه؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾». حكاه عن الثعلبيّ.

وكره ابن الزبير ومحمّد بن أبي كثير ﷺ لبس النعال السود لأنها تُهِمُّ. أي: تبعث الهمَّ في النفس. ولا غرابة في كراهة

- ابن الزبير وابن كثير للبس النعال السود، ولا في حثّ ابن عبّاس وعلي بن أبي طالب ﷺ على لبس النعل الأصفر؛ فقد تبيّن بعد البحث مدى تأثير الألوان على النفس البشريّة.

الرمز العصريّ للون الأصفر:

اللون الأصفر أصبح رمزًا للسعادة، ويتمّ استخدامه بكثرة في الرموز التعبيريّة "الإيموجي" على الهواتف الذكيّة. يُعتبر اللون الأصفر في هذه الرموز معدّلاً للمزاج، حيث يُعزّز من إفراز السيروتونين، وهو هرمون السعادة المعروف، ممّا يجعل اللون الأصفر مرتبطًا بشكل واضح بالتفاؤل والمزاج الإيجابيّ.

في أشراط السّاعة

تُظهر المقارنة بين **البقرة الصفراء** المذكورة في القرآن الكريم و**البقرة الحمراء** التي يعتقد بعض اليهود بأنّها ذات صلة بالتمكّن من إعادة بناء "الهيكل"، وجود علاقة بين الموضوعين رغم البُعد الزمنيّ والمكانيّ بينهما.

البقرة الصفراء في القرآن: وردت في **سورة البقرة**، في القصّة التي طلب فيها بنو إسرائيل من النّبيّ موسى ﷺ أن يبيّن لهم مواصفات البقرة التي يجب عليهم ذبحها، فكانت البقرة **صفراء فاقع لونها**، تتّسم بأنّها شديدة الصفرة تسرّ الناظرين، وأن تكون **لا شية فيها**، أي لا عيب فيها، وأنّ **سنّها حوالي السنتين**.

البقرة الحمراء في المعتقدات اليهوديّة:

تعتقد بعض التيّارات اليهوديّة أنّ **البقرة الحمراء** (المعروفة أيضًا ببقرة "أحمرى" في التوراة) هي **شرط لا بدّ منه** لتحقيق "الطهارة" اللازمة لبناء الهيكل الثالث في **المسجد الأقصى**. وفقًا للمعتقدات اليهوديّة، يجب ذبح **بقرة حمراء خالية من أيّ عيب أو شية** (أي خالية من أيّ علامة أو لون آخر غير الأحمر) **ولا يقلّ عمرها عن السنتين** وحرقها واستخدام رمادها لتنقية الشعب من النجاسة، ليكونوا قادرين على بناء الهيكل وظهور **المسيح المنتظر (الدجال) ليحكموا العالم.**

التقارب بين البقرة الصفراء والبقرة الحمراء:

١. **الخلو من العيوب:** في كلّ من القصّة القرآنيّة والمعتقدات اليهوديّة، يتمّ التأكيد على ضرورة أن تكون البقرة **خالصة** دون أي شية أو عيب. في القرآن، **البقرة الصفراء** لا يجب أن يكون فيها أيّ عيب، وكذلك **البقرة الحمراء** في المعتقدات اليهوديّة يجب أن تكون خالية من أيّ تشويه.

٢. **دورها في الطهارة أو الإصلاح:** في القصّة القرآنيّة، يتمّ ذبح البقرة لمعرفة القاتل، بينما في المعتقدات اليهوديّة، يتمّ استخدام البقرة الحمراء في سياق **الطهارة الدينيّة** والتأهيل لإقامة الهيكل. في الحالتين، تظهر البقرة كأداة للانتقال إلى مرحلة جديدة أو لتحقيق هدف مهمّ.

في الأدعية والأذكار

- يا حيّ يا قيّوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.
- يا حيّ يا قيّوم، أحيي قلبي بنور معرفتك، يا الله يا الله يا الله.
- اللَّهُمَّ اجعلني سهلًا هيّنًا ليّنًا، قريبًا من النّاس، طيّب المعشر رفيقًا رحيمًا.

الآية 74

قسوة قلوب اليهود

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ يا معشر اليهود، ويبست فلم تلن ولم تخشع، ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما رأت من الآيات، كانفجار الحجر بالماء في التيه، وإنزال المنّ والسلوى، وتظليل الغمام، وإحياء الميت ليدلّ على من قتله، وغير ذلك.